د. مباركية عيسى
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المقياس: النقد السيميائي
التخصص: نفد ومناهج . ليسانس
المستوى: السداسي الخامس

المحاضرة رقم :11

سيمياء الثقافة

تباينت الاتجاهات السيميائية المعاصرة واختلفت باختلاف تصورها للنظرية السيمائية، وكذا مرجعياتها الفكرية والفلسفية، ومن بين هذه الاتجاهات نذكر سيمياء الثقافة.

أولا:سيمياء الثقافة

1. تعريف الثقافة:

تمايزت المفاهيم التي وسم بها الدارسون مصطلح الثقافة، والمفاهيم التالية توضح أهمها : فهناك من يعرفها بأنها "أسلوب حياة تتبعه الجماعة أو القبيلة تتضمن مجموعة من المعتقدات"، كما عرفت بأنها "ذلك الكل المركب الذي يشمل العادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع".

وبناء على هذه التعريفات يمكننا القول بأن الثقافة هي كل ما ارتبط بحياة الإنسان من معتقدات وأعراف وقيم ومبادئ وكل الممارسات التي تساهم في تكوين شخصية الفرد.

إلا أننا سنحاول تقديم تعريفات لها من وجهة نظر سيميوطيقية

. تحدد الدراسة السيميوطيقية الثقافة على أنها "مجموعة من الأنظمة السيميوطيقية الخاصة المتدرجة، أو يمكن اعتبارها كمًا من النصوص ترتبط بسلسلة من الوظائف، أو اعتبارها آلية خاصة تتولد عنها تلك النصوص".

وهنا تفهم الثقافة على أنها تراكم وتكتل وحشد وحدات فردية، بشكل مقصود أو غير مقصود، فتصير "آلية جمعية خاصة لتخزين المعلومات ومعالجتها "، فمسألة "الجمعية" هي الأساس الذي يميز التراكم الثقافي.

ومما سبق نرى بأن الثقافة من وجهة نظر السيميوطيقا، بأنها هي نفسها السيمياء، و"يتبين أنها مجموعة من علامات وأيقونات وإشارات رمزية وبصرية متنوعة ومتعددة متدرجة ومتداخلة، وتنظيم تلك الأنظمة هو العامل المساعد على إيجاد محيط اجتماعي، يجعل البشر قادرين فيه على ممارسة مجريات حياتهم.

2. مفهوم سيمياء الثقافة:

تعد سيمياء الثقافة إحدى اتجاهات السيمياء العامة، والتي تجعل من الثقافة موضوعا لها، ويعد "يوري لوتمان" رائدا من رواد هذا الاتجاه، الذي يعنى بدراسة "الأنظمة الثقافية باعتبارها دوالا وعلامات وأيقونات وإشارات رمزية لغوية وبصرية، بغية إ ستكناه المعنى الثقافي الحقيقي داخل المجتمع، ورصد الدلالات الرمزية الأنثروبولوجية والفلسفية الأخلاقية، ولا تقتصر هذه السيميوطيقا على ثقافة واحدة أو خاصة، بل تتعدى ذلك إلى ثقافات كونية تتسم بطابع عام، قوامها الانفتاح والتعايش، والتواصل والتكامل والتعددية والتهجين والاختلاف والتنوع والتسامح والتعاون والمثاقفة، وتداخل النصوص (التناص)، وتعدد اللغات والثقافات...

كما يشير "يوري لوتمان" إلى أن سيميوطيقا الثقافة تبحث عن القصدية والوظيفة داخل الظواهر الثقافية ، محاولة تفكيك الرموز اللغوية وغير اللغوية التي يحاول من خلالها الإنسان التواصل مع العالم الأخر.

ثانيا: الخلفيات الفكرية والفلسفية لسيمياء الثقافة:

لقد كان لسيمياء الثقافة خلفيات فكرية وفلسفية بسطت لها الأرضية لتبرز في الظهور، إذ "تبلور هذا المصطلح . سيمياء الثقافة . على يد جماعة موسكو (تارتو) سنة 1962 في ستينيات القرن الماضي، وقد شكل هذا الزمن ثمرة جديدة ونشوة فكرية مهمة جعلت هؤلاء الرواد يساهمون في نضج هذا العلم –سيمياء الثقافة– وأعطوا له ذلك الامتداد الكبير الواسع وكان أبرزهم "يوري لوتمان" J. Lotman "أمبرتو إيكو E.Eco "روسي لاندي" R.Landi جعلوا منه علما يدرس العلامات و الإيماءات وإلى مصطلح قادر على فهم وتوضيح أنساق بشرية يريد التعبير عنها" .

وعليه فقد كانت الجهود التي جاءت بها هذه الجماعة (جماعة تارتو) النواة الأولى لتجذر هذا المصطلح. وقد أفادت هذه الجماعة (جماعة تارتو) من طروحات كل من "سويسر" و"بيرس" السيميائية وحاولت

التوفيق بينهما، وكانت أعمالهما عاملا ممهدا أمام سيمياء الثقافة للتوسع والانتشار، بالإضافة إلى ذلك نجدها استفادت مما جاءت به الماركسية وكذا فلسفة كاسيرير .

ثالثا: مفاهيم وأدوات سيمياء الثقافة:

ارتكزت سيمياء الثقافة على بعض المفاهيم والأدوات التي يمكن اعتبارها الركائز الأساس لهذا المنهج نذكر منها ما يلي:

. السيميوزيس: يقصد بها السيرورة التي يشتغل من خلالها شيء ما كعلامة، وقد ترجم إلى العربية بمصطلح "السيرورة الدلالية"، والسيميوزيس سيرورة دلالية تتحكم في إنتاج الدلالات وتأويلها، وكل الوقائع الكونية تنطوي تحت لواء هذه السيرورة .

. الفضاء السيميائي: هو فضاء المعنى، ويعد المقياس الوحيد الذي تصبح به حياة المعنى ممكنة، وهو نظام عام تتفاعل داخله كل الأنظمة الثقافية، بما في ذلك أنظمة اللغات.

. الذاكرة: تمثل الذاكرة ثقافة النص إذ تعمل على إنتاجه وتكوينه، والذاكرة تجربة الماضي في حال التطور والتراكم والتغير .

. **التعقيد:** يقصد به صعوبة إدراك النظام الثقافي لوجود عوامل التشويش والفوضى، وينقسم إلى قسمين : تعقيد خوارزمي مرتبط بالنظم الاصطناعية وتعقيد طبيعي يرتبط بالأجسام الحية والنظم الطبيعية.

. الداخل والخارج والحدود /ثنائية المركز والهامش:

ترى سيمياء الثقافة أن الفضاء السيميائي / الثقافي يتكون من قسمين رئيسيين : فضاء داخلي (المركز) وفضاء خارجي (الهامش)، تفصل بينهما ح دود كتلك التي تفصل بين الأحياء والأموات وبين المدن والقرى، وبقدر ما تفصل هذه الحدود بين الداخل والخارج (المركز والهامش) ، فإنها تعمل بوصفها أساس التفاعل وإنتاج الأنظمة الجديدة، أو تحويل الهامش إلى مركز.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. علي عبد الواحد عبد الحميد : الثقافة (المفهوم، الخصائص، العلاقات)، معهد الدراسات التربوية جامعة القاهرة، مصر، ط2، 2012/2011 .

2. بوريس أوسبنسكي وآخرون: نظريات حول الدراسة السيميوطيقية للثقافات، تر: نصر حامد أبو زيد ، دار إلياس العصرية، القاهرة ، مصر ،دط، 1986 .

3. جميل حمداوي: سيميوطيقا الثقافة (يوري لوتمان نموذجا) شبكة ألوكة www.aluka.net

4. عبد الفتاح يوسف: السيمياء الثقافية، تفعيل الأنساق وقمع الدلالات، مجلة فصول، القاهرة ، مصر، ع267 .

5. علوي أحمد الملجمي: النص بين النقد الثقافي وسيميائيات الثقافة . المفهوم وآليات المقاربة ، مجلة ذخائر للعلوم الإنسانية ، دورية إلكترونية محكمة ، ع2، ديسمبر 2017.